تاريخ

تجاذبات الهوية والجغرافيا والسياسة في البلقان

مئوية ألبانيا الثقافة العثمانية بعد قرن

تبدو مفيدةً، في سياق السجالات التي أثارها تحويل متحف «آيا صوفيا» إلى جامع مُجدّداً، استعادةُ تجربة البلقان التي كانت أرض اول عاصمة للإمبراطورية العثمانية، وقد ترك تحويل الكنائس إلى جوامع، ثم إعادتها إلى ما كانت عليه، ارتدادا تحتى سنوات قريبة

محمد م. الارناؤوط

مع الحدث الثقافي السياسي بتحويل متحف «آيا صوفيا» إلى جامع مرّةً أخرى، انقسمت الآراء حول الحدث حسب الأجندات، ولكن كان من الملاحظ أن بعض الآراء ذهبت بعيداً في ما تنتظره بعد ذلك كاسترداد الأبجدية العثمانية وحتى استعادة الخلافة التي يمكن أن يكون مقرّها «جامع ايا صوفيا» بالذات.

ومن المهمّ هنا أخذ تجربة شعوب البلقان في الاعتبار، نظراً إلى أنّ العاصمة الأولى للإمبراطورية العثمانية كانت في البلقان (ادرنة)، كذلك فإنّ تحويل الكنائس إلى جوامع، ثم إعادتها إلى ما كانت عليه تركت ارتداداتها إلى ما بعد نهاية الحكم العثماني في البلقان (1912)، وكذلك الأمر مع الأبجدية التي استخدمها المسلمون في البلقان، حيث شاعت هناك أيضاً الأبجدية العربية في كتابة لغات الألبان والبشناق والبلغار.

وتتصادف حالياً الذكرى المئوية لاستقرار ألبانيا في حدودها الحالية التي تزامنت مع سلسلة من القرارات، مثل اختيار عاصمة جديدة لها (تيرانا) واعتماد الحروف اللاتينية بشكل رسمي للغة الألبانية، والسماح للمرأة بالمشاركة في الانتخابات.

صحيح أنّ بعض الوجهاء والأعيان الألبانيّين اجتمعوا بدعم قوي من النمسا في مدينة فلورا بأقصى جنوب ألبانيا، وأعلنوا من هناك «استقلال ألبانيا» عن الدولة العثمانية في الثامن والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر 1912، إلّا أن ألبانيا كانت حتى ذلك الحين مفهوماً جغرافياً؛ لأنّ معظم المناطق التي يقطنها الألبان كانت قد أصبحت تحت الحكم العسكري لصربيا والجبل الأسود واليونان بعد أن انتصرت في حرب البلقان على الدولة العثمانية. لكن «فيينا» التي دعمت إعلان الاستقلال كانت مستعدّة لدخول حرب أوروبية إذا لم يُقبل بالبانيا ككيان سياسي جديد لكي تمنع صربيا من الوصول إلى البحر الأدرياتيكي.

وهكذا بعد التهديدات المتبادلة، اجتمعت القوى الأوروبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والنمسا وروسيا) في مؤتمر لندن في خريف 1912 وصيف 1913 وقرّرت في 29 تموز/ يوليو 1913 الموافقة على تشكيل إمارة ألبانية مستقلة عن الدولة العثمانية، على أن توضع تحت انتداب القوى الأوروبية، وأن ترسم حدودها فيما بعد.

في هذا السياق، اختارت القوى الأوروبية الكبرى نبيلاً ألمانياً (فلهلم فون فيد) لكي يكون أميراً على ألبانيا، التي وصلها في آذار/ مارس 1914 واتّخذ من مدينة دورس الساحلية عاصمة له، ولكنه مع اندلاع الحرب العالمية الأولى والفوضى، أثر أن يغادر ألبانيا عائداً إلى بلاده. في غضون ذلك، كانت اللجنة الممثلة للانتداب الأوروبي (لجنة الرقابة) قد وضعت في نيسان/أبريل 1914 أول قانون أساسي (دستور) لألبانيا نصّ على أن ألبانيا دولة علمانية، ولكن مجريات الحرب سرعان ما غيّبت ألبانيا حتى 1920. فقد اتفقت دول الوفاق (بريطانيا وفرنسا وايطاليا) في نيسان/ إبريل 1915 على معاهدة سرّية لتقاسم الأراضي الألبانية بين إيطاليا وصربيا والجبل الأسود، ولكن النمسا اخترقت صربيا في 1915 وسيطرت على شمال ألبانيا حيث منحت الألبان حكماً ذاتياً، في حين أنّ القوات اليونانية والفرنسية سيطرت على الجنوب، ثم جاءت القوات الإيطالية مع نهاية الحرب.

ومن هنا بقي مصير ألبانيا معلّقاً في الهواء خلال 1918 و1919 إلى أن قامت في ألبانيا انتفاضة شعبية في نهاية كانون الثاني/ يناير 1920 وانتهت إلى إقرار نظام جديد للحكم حافظ على حدود ألبانيا الحالية، وهو ما تكرّس مع انضمام ألبانيا إلى «عصبة الأمم» في العام ذاته. كانت الحكومة الوطنية التي تشكّلت آنذاك برئاسة سليمان دلفينا قد ضمّت أحمد زوغو وزيراً للداخلية، الذي سيصبح رئيساً للحكومة خلال 1922-1924، ثم رئيساً للجمهورية، وأخيراً ملكاً خلال 1928-1939، وهو الشخصية الذي سبق مصطفى كمال بميوله للتخلّص من التركة العثمانية. في هذا السياق، كان من قرارات الحكومة الجديدة نقل العاصمة إلى الداخل (تيرانا) واختيار الحروف اللاتينية رسمياً للغة الألبانية التي أصبحت كل المعاملات والصحافة والمؤلّفات تصدر بها، ثم تتابعت القرارات بمنح المرأة الحق في المشاركة في الانتخابات، وبذلك كانت ألبانيا أول دولة بغالبية مسلمة تمنح هذا الحقّ للمرأة.

وفي الحقيقة، كان موضوع الأبجدية الشغل الشاغل للنخبة الألبانية في السنوات الأخيرة للحكم العثماني. فقد تداعت مجموعة من المثقّفين الألبان إلى مؤتمر للأبجدية في مدينة مناستير (جنوب مقدونيا الحالية) خلال شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1908 حيث توافقت الغالبية على اختيار الحروف اللاتينية للغة الألبانية عوضاً عن الحروف العربية. في ذلك الحين، كان الاتحاديون (بتياراتهم الطورانية والعثمانية والإسلامية) يوطدون سيطرتهم في العاصمة، ولذلك فهموا بسرعة أن هذه النتيجة ستدفع الشعوب الأخرى في هذا الاتجاه، ولذلك القوا بكل ثقلهم لدعم الاتجاه الآخر بين الألبان الذي يميل إلى البقاء ضمن الدولة العثمانية والاستمرار بكتابة الألبانية بحروف عربية. وهكذا عقد الاتحاديون مؤتمراً آخر خلال تموز/ يوليو 1909 في مدينة دبيرا (جنوب مقدونيا الحالية) دعوا فيه بقوة الاتجاه المحافظ واستحصلوا على قرار يدعو إلى الاستمرار ضمن الدولة العثمانية وإلى الاستمرار باستخدام الحروف العربية لكتابة الألبانية. إلّا أنّ الأمر انتقل إلى صحافة إسطنبول طوال 1909-1912، حيث حاول الاتحاديون خلق انطباع بأنّ الخلاف بشأن الأبجدية يُخفي بُعداً ثقافياً سياسياً، أي أنّ تبنّي الحروف اللاتينية يمهّد للخروج عن الدولة العثمانية، وهو ما جعل بعض الأتراك يشاركون في ذلك النقاش أيضاً بالنسبة إلى لغتهم التي راوا أن الحروف اللاتينية تناسبها أكثر.

(باحث وأكاديمي كوسوفي سوري)

من مدينة جيروكاستر في جنوب ألبانيا (Getty)

شغل موضوع الابجدية الالبان في نهاية الحكم العثماني

سبقت ألبانيا تركيا في العلمانية ومشاركة المرأة في الانتخاب

جوامع وكنائس

شهد البلقان قبل فتح القسطنطينية سقوط كثير من المدن الحريفة. وكان التقليد العثماني (قبل محمد الفاتح) يقضي باختيار اكبر كنيسة واعدادها للصلاة في اول جمعة، ثم تحويل كنائس أخرى الى جوامع بالتدريج. وان جرى هذا باسم «الفتح»، فقد حدث العكس باسم «التحرير» منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى 1912؛ حيث عادت هذه المباني الى كنائس مجدّدا، مع ما كان يثيره ذلك من حساسيات بعد ان بقيت جوامع لعدّة قرون.

إطلالة

زعم المشاركة في صنع التاريخ

ماذا كتبت عن الحاضر؟

لا يستطيع السياسي انتظار الزمن، وعليه ان يُصدر البيانات والتصريحات، بينما على الروائي ان ينتظر كي يكتب عن الاحداث، متجاهلاً كلمات السياسي ذا تها

معدوح عزام

يلوم كثير من القرّاء الروائيّين حين يعرفون أنهم لم يكتبوا نصّاً روائيّاً بعدُ عن الحدث الراهن، أيّ حدث راهن: أهمّ هذه الأحداث الراهنة هو موضوع السنوات العشر الماضية من هذا القرن، وقد يتّهمونه بالتقاعس،او يتجرّأ بعضُهم فيصفه بالجبن في حالة الثورة والقمع الذي يطاول المشاركين فيها، أو بالتخاذل؛ إذ إنّ على الروائي، السوري مثلاً، أن يكون قد أنجز منذ أن بدأت الثورة قبل تسع سنوات رواية أو أكثر من رواية في كل عام. وفي المقابل فإننا نرى الروائيّين هنا، أو في أي مكان في العالم، يقولون لك: «تتطلّب كتابة رواية من كاتبها أن يأخذ مسافة من الحدث المقارب»، وهذا أحدث تصريح للروائي بول أوستر الذي لا يعيش أحداث ثورة مثلاً.

لا يستطيع السياسي انتظار الزمن، وعليه أن يُصدر البيانات ويكتب التصريحات أو التحليلات مباشرةً في مواجهة الأحداث، بينما يجب على الروائي أن ينتظر كي يكتب عن الأحداث، متجاهلاً كلمات السياسي ذاتها، ذلك أن المسافة هي التي تُحدّد وعيه وطريقة كتابته، كما أنها هي التي ترسم له المسارات التي ستسير فيها روايته.

شارك في الحرب الأهلية الإسبانية إلى جانب الجمهوريّين مثلاً، كثير من الروائيين من العالم، ولكن لم تصدر رواية «لمن تُقرع الأجراس» لهمنغواي إلّا بعد نهاية الحرب بأكثر من ثلاثة عشر عاماً. أمّا أفضل الروايات الإسبانية عن الحرب فهي تلك التي كُتبت في مراحل تالية، وربما بعد أكثر من خمسين سنة.

وفي كل حال، فإنّ التطوُّرات المعقَّدة التي شهدتها الثورات العربية تؤكّد أنّ أيّ تدخّل روائي في سياق الأحداث أثناء تطوُّرها، يمكن أن يمضي بالنص إلى غاية مختلفة تماماً عن موقف الروائي، أو حقائق الواقع. خذوا السنوات التسع الماضية مثلاً، وتاملوا كيف تغيّرت المواقف من أحداث كانت تحظى بالتأييد والشعبية قبل سنوات، فيقدر وضوح ذلك العام، من حيث توضع في سياسات الخديعة. وما كان مناسبا كشعارٍ في زمن ما مضى، وهو ليس بعيداً عنّا، بات اليوم لا يصلح للحياة، بل إنّ الشعارات نفسها، وهي موضوع عمل للسياسيّين، تُسبّب أضراراً فادحة للعمل الروائي، بصرف النظر عن محتواها.

ومن الصعب على الرواية أن تتبنّا؛ فالروائي لم يكن قادراً على التنبُّؤ بمصير الثورة السورية أو المصرية أو التونسية أو اليمنية استناداً إلى وقائع العام الأول من عمر كل منها، واضحت اليوم مرفوضة ويمكن أن

الروايةُ المسافة الزمنية هي التي تُحدّد وعي الروائي وطريقة كتابته

لا تجيب الرواية عن الأسئلة التي عجز الواقع عن تقديم أجوبتها، وليس لدى تاريخ الرواية ما يؤكّد عكس ذلك، ولكن السؤال الذي يتصدّر لائحة معظم اقتراحات الحوار مع الروائيّين في الصحافة العربية هو: ماذا كتبت عن الحاضر؟ ويضع الصمت تجاه السؤال، أو النفي، الروائي أمام حرج أخلاقي في المقام الأول يرتبط بـ «شجاعته» أو بقدرته على قول الحقيقة، مثلما يجرمه من زعم المشاركة في صنع التاريخ.

(روائي من سورية)

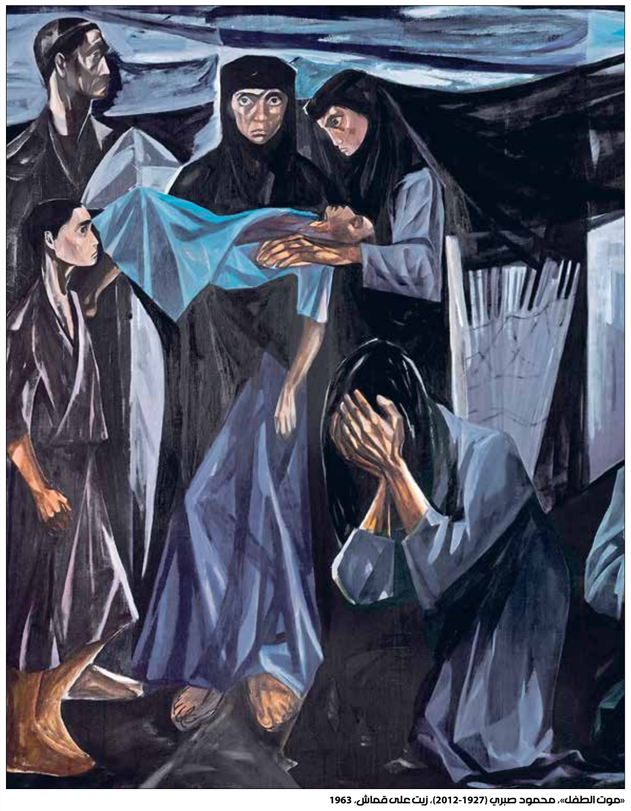

«موت الطفل». محمود صبري (1927-2012). زيت على قماش. 1963

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

معرض

الأشياء المثيرة لعالم فرانسواز هوغيبه غرفة من الأغراض الخاصة

رحلة في مصادر الإلهام

عن معرضها المقام حالياً في «متحف كي برانلي» بباريس، تقول الفوتوغرافية الفرنسية: «لستُ جامعة صور في هذا المعرض، أنا أساير مصادر الإلهام»

باريس ـ **العربي الجديد**

خلال تجربتها الفنيّة، نوّعت المصوّرة الفوتوغرافية الفرنسية فرانسواز هوغيبه (1942) الموضوعات التي تهتمّ بها؛ فاشتغلت مرّة على المساكن الاجتماعية كما في مجموعتها «دوفيل»، وعلى البشرة كهويةٍ ثقافية كما في سلسلة «سرّيات»، وبين هذا وذاك تنقّلت بين مدن عدة خصّصت لها البومات ابرزها: «باريس الكبرى» و«سيول الافتراضية»، كما اشتهرت بعدد من معارضها التي تناولت الحياة في مدن وبلدات أفريقية.

في معرضها الحالي؛ «الأشياء المثيرة لعالم فرانسواز هوغيبه»، الذي يقام في «متحف كيه برانلي» بباريس منذ بداية الشهر الجاري (بعد أن كان من المبرمج افتتاحه في حزيران/ يونيو الماضي) ويتواصل حتى 11 من تشرين الأول/ أكتوبر المقبل، لم تشتغل الفوتوغرافية الفرنسية على سلسلة جديدة ذات موضوع ثابت، رغم ذلك فقد وجدت الخيط الذي ينظم جميع لقطاتها؛ إنها أغراض الحياة اليومية باعتبارها محطّات لعلاقة الإنسان بالعالم. هكذا صمّمت معرضها بحيث يبدو مثل «دفتر رحلة» بحسب عبارة وردت في تقديم المعرض.

في كلمتها ضمن نفس التقديم، حاولت هوغيبه توضيح رؤيتها وما تريد قوله من خلال أغراض الحياة اليومية. تكتب: «كانت الأغراض دائماً مصدر إلهام لما أريد فعله. بمرور التجربة، بات ممكناً أن أجمع بين تلك النقاط التي الهمتني، فبكون الأمر أشبه برحلة (...) رحلة في غرفة من الأشياء الحميمية والخاصة، جزء منها ما يزال يتجسّد في غرض بعينه، وجزء آخر هو صورة له تعبّر به الزمن. إنه لقاء عجيب بين الأشياء وصورها. لستُ جامعة صور في هذا المعرض، أنا أساير مصادر الإلهام».

تربط بين أغراض متباينة مثل لعب الأطفال والحقائب واللوحات الحائطية

بالعودة إلى مشوار هوغيبه الذي يمتد على قرابة خمسة عقود، سنجد أن أغراض الحياة اليومية كانت دائماً ذات مركزية داخل الصور وإن لم تكن الموضوع الرئيسي فيها. كثيراً ما حضرت في أعمالها قطع الأثاث المنزلي، وفي الغالب كانت تبدو في وضعيات غريبة كأن ترى في خلفية الصورة كرسياً ملقى على الأرض، أو أن تنام فتاة على كومة من الجرائد.

تراوح هوغيبه بين تقنيتين؛ الأولى هي تقنية اللقطة الواحدة بعد ترتيب المشهد بعناية، وتعتمد في الثانية إعادة تركيب عدد من عناصر لقطات كثيرة، وهي تقنية تحضر في أعمال المعرض الحالي، وكأنها تربط بين ذكريات عديدة حين تربط بين أغراض تبدو متباينة مثل لعب الأطفال والحقائب واللوحات الحائطية.

يبدو معرض فرانسوز هوغيبه غريباً بعض الشيء عن نوعية المعارض التي يقدّمها عادة «متحف كيه برانلي» الذي يتخصّص في فنون وثقافات أفريقيا وآسيا وأميركا الجنوبية. لا يكفي القول بأن هوغيبه معروفة بأعمالها حول أفريقيا، فالمعرض الحالي لا يمتّ بصلة للقارة السمراء. فهل يكون معرض «الأشياء المثيرة لعالم فرانسوز هوغيبه» إشارة إلى تحوّل في سياسات المتحف، خصوصاً مع سياق المطالبات بإعادة القطع الأثرية إلى مواطنها الأصلية أو سياق نقد العنصرية، وهذه الأخيرة تمثّل المتاحف الأوروبية وجهاً من وجوهها الناعمة.

من المعرض

شذرات

على الناقد ان يقف امام مبدعات الفن موقف المُتَعبّد، لا موقف القاضي ولا موقف الناصح. وما الناقد إلا فنان آخر يحسّ ما احسّه الفنان الاول، فيعيش حدسه مرة ثانية، ولا يختلف عنه إلا في انّه يعيش بصورة واعية ما عاشه الفنان بصورة غير واعية.

بينيدتو كروتشه ـ «فلسفة الفن»، ترجمة: سامي الدروبي

التمييز في حدّ ذاته عنف، او بالاحرى نوع من العنف الاساسي، لانّه لا يستهدف ملكيّة الآخر، بل يستهدف ماهيّة الآخر: ليس اعتداءً على ما يملكه الآخر، بل نفي لجوهر الانسان في الآخر. انّه كالعنصرية، اي التمييز على اساس العنصر، نفي لحق الآخر في ان يكون لهُ حق. انّه نفي للمساواة وللانسانية الكاملة للمرأة.

رجاء بن سلامة ـ «بنيان الفحولة»

العنصر الدائم في البشرية الذي يتجاوب مع عنصر الشكل في الفن، هو حساسية الإنسان الجماليّة، إنّها الحساسية الثابتة. اما الشيء المتغير فهو الفهم الذي يقيمه الانسان عن طريق تجربته لانطباعاته الحسية، ولحياته العقلية.

هربرت ريد ـ «معنى الفن»، ترجمة: سامي خشبة

اسود وفيلةٌ ميتة/ ذاكرتي هي ارضٌ محروقة/ الجفاف في الروح وفوق الارض. لقد قتلوا رجلا بمضرب البيسبول/ «آه» قال البوليس «يا له من لعبٍ سيّئ!».

إتيل عدنان ـ «هذه السماء الغائبة»، ترجمة: خالد النجار